Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

العدد السابع عشر – حزيران – 2026 / June

حجاجية الخطاب البلاغي في نصوص النفس اللّوّامة للشيخ إبراهيم بن علي الكفعمي (ت٩٠٥هـ)

أ.د ساهرة عدنان وهيب العنبكي [1]

[1] الجامعة المستنصرية /كلية التربية الأساسية/ قسم اللغة العربية – العراق

ss.sahira.edbs@uomustansiriyah.edu.iq

ملخص. تعد موضوعة الحجاج أداة لمناقشة الافكار والرؤى على حسب طبيعتها الظنية أو مصداقيتها، كونها حلقة تواصلية تعنى بالمرسل اليه وحدسهُ القائم على الظن أو الحقيقة – لغرض الاقناع والحوار ومن ثم الإلزام بالمطاوعة والانقياد، بقصد أما التشكيك بالآراء، أو المعارضة لها، أو التثبيت لها وتأييدها عبر آليات الجدل والحجاج والاستدلال عن طريق طرح الدعوى والدعوى المناهضة المضادة لها، ثم استعراض الحجج بغية الوصول الى النتيجة الاقناعية للمتلقى. وهذا الدليل أو الحجة تقوم على الوصف أو اسلوب التعريف أو سرد الوقائع، أو الشرح والتمثيل والجدل وغيرها من الاساليب الكثيرة كالموسيقى النبرية، أو السخرية والتعجب، أو البلاغة القواعدية باستعمال الضمائر للترهيب والترغيب والاقناع والتنبيه والنداء والنصيحة والتطويع. وآثرت دراسة هذه الموضوعة في نصوص الشيخ إبراهيم الكفعمي في خطابه محاسبة النفس اللّوّامة.

الكلمات المفتاحية: الحجاج، البلاغة الحجاجية، الكفعمي، نصوص النفس اللوامة.

Abstract. The topic of argumentation is a tool for discussing ideas and visions according to their speculative nature or credibility, as it is a communication link that is concerned with the recipient and his intuition based on suspicion or truth - for the purpose of persuasion and dialogue and then obligating compliance and submission, with the intention of

either casting doubt on opinions, or opposing them, or establishing and supporting them through the mechanisms of debate, argumentation and reasoning by presenting the claim and the counter-claim, then reviewing the arguments in order to reach a convincing result for the recipient. This evidence or argument is based on description or the method of definition or narration of facts, or explanation, representation, debate and other numerous methods such as tonal music, or sarcasm and astonishment, or grammatical rhetoric by using pronouns for intimidation, enticement, persuasion, warning, calling, advice and subjugation. I preferred to study this topic in the texts of Sheikh Ibrahim Al-Kafa'mi in his speech "Accounting the Blaming Self".

Keywords: Arguments, argumentative rhetoric, Al-Kafa'mi, texts of the blaming soul.

المقدمة:

يرد الحجاج بمعنى الجدل في القرآن الكريم في قوله تعالى ((وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ)) (سورة النحل: 154)، وكذلك في قوله ((وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا)) (سورة الكهف: 18) فكان أغلب الرسل يجادلون قومهم عبر الهداية والضلال، أو الحق والباطل في مجادلتهم للضالين.

وقد ظهرت المدارس السفسطانية باستعمال الجدل في الخطاب السياسي لافحام أهل السياسة، ويزودوا النخب بافحام خصومهم اما باسلحة الجدل والخطابة وبلاغة الكلمة، المناظرات والمرافعات الحجاجية الخطابية حتما عدت فناً.

إذ اهتم سقراط بالاخلاق والسياسة، وجاء افلاطون بالفعلانية المجردة فاعطى

الفكر والعقل والمثال الأولوية فلا وجود للمحسوس او المادي والذي يسميه المتغير، كذلك العرب والفرق الكلامية من المعتزلة والأشاعرة فالمعتزلة أولوا العقل قبل النص – أما الأشاعرة فاولوها للنص على حساب العقل (حمداوي، 2014: 15).

وعمدنا الى المنهج الوصفي التحليلي للخطاب الحجاجي في نصوص الكفعمي، والتي برزت واضحة في جداله مع النفس الإنسانية يحثها على الخير من خلال براهينه.

واستعمل علماء الكلام الجدل والعقل والمنطق والبرهان في الدفاع عن الحقائق، أو التأويل في ظاهر القلب واستكشاف الباطن وتحويل الحقيقة إلى مجاز، فمنهج الفلاسفة منهج برهاني ينطلق من النتائج، أما

الفقهاء والجمهور فمنهجهم ظاهري وخطابي (حمداوي، 2014: 15). ومن ثم جعلت البلاغة في اسمى أهدافها الاقناع والوصول إلى الحق والعدالة عبر الجدل والاستدلال البرهاني والمنطقي.

1. البلاغة الحجاجية:

إن الخطاب الحجاجي البلاغي عند شارل بيرلمان يخالف البرهان المنطقي، والذي يستند على مقدمات يقينية يتوصل من خلالها إلى نتائج صادقة، فيحد بذلك من التعددية الفكرية عن طريق فرض أنموذج للحقيقة الواحدة، أما الحجاج البلاغي فهو لا يهدف الى البرهان على قضايا المنطق، بل ما تسعى له البلاغة الجديدة هو اقناع الجمهور، أو من هو في حكمة ورفع نسبة تأييده وايمانه بالقضية التي هي موضوع الحوار والجدل والمناقشة حتى الوصول الى الاتفاق العام عن طريق التأثير، وهذه النتائج قد تكون مقنعة لمخاطب من دون اخر قد لا يتقبلها، ومن ثم حاول كسب قناعات الجمهور في القضايا العامة (بيرلمان، 2019:47)، وبذلك سميت البلاغة والبلاغة العربية بفن الاقناع، كونها تذكي عواطف المخاطبين وتوجه أفعالهم وتعيد تفكيرهم وتشكيله في حل قضاياهم الاجتماعية والانسانية عن طريق اقتناعهم بأفكار المتكلم.

وكون الحجاج درسا لسانياً حقيقة بسبب تلك المقدمات غير اليقينية التي تبني على المحتمل، فاختلفت بذلك قناعاتهم.

وما يبرز أهمية الحجاج في البلاغة العربية ومقصديتها هو الاستدلال وبيان الحجة والبرهان عند المتكلم لمحاولته إذعان واستمالة القارئ وتتبع مسألة الإلزام المنجز لفكرة المحتج والمستدل، فقد أشار أبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين والذي جعل الاقناع اقصى درجات البلاغة والبلاغي الحصيف قائلاً ((أعلى رتب البلاغة أن يحتج للمذموم حتى يخرجه في معرض المحمود وللمحمود حتى يصيره في صورة المذموم)) (العسكري، 51/1).

فالمسكوت عنه بلاغة في معرض مقابلة الاحتجاج البلاغي على سبيل المجاز والبلاغة متعلقة بالموجود من الكلام والمسكوت عنه أمر من العدم أو ضرب من التأويل في معرض مقابلة الجمهور المتعدد الجاهل أو الوضيع أو الظالم، فلا تنفع إقامة الحجج، ولا تاتي بثمارها، فلا تحقق المقصدية الحجاجية من التسليم والانقياد.

2. نظرية الافعال الكلامية (الانجازيات):

يقول مايير بحسب فكرة المساءلة أن الكلام يعني إثارة السؤال ومحاولة الآخر الإجابة عنه، وكون الحجاج مرتبط بالكلام واستغلال مافي الكلام من ثراء وطاقات، تطرح عن طريق الاسئلة وتلقّي الأجوبة

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

وليس بالضرورة أن تكون هناك جملة استفهامية، لأن السؤال عنده يتجاور الحقل اللساني ويركز على البعد اللغوي في الحجاج، ((فكل خطاب مهما كان نوعه يتجه لاقناع المتلقى وإذعانه)) (صولة، 2007: 38) وبحسب النظرية العربية للبلاغة القديمة، فهي آليات توجيهية والاستفهام أحد هذه الآليات.

وأرسى معالم هذه النظرية (جون أوستين) وطورها كل من (سورول وغرايس).

وهي مرتبطة بفلسفة اللغة وانجازيتها.

وبحسب علماء العرب وأهم جهودهم الكاتب (مسعود صحراوي) الذي توصل الى التميز بين الخبر والانشاء في قوله (أن الانشاء هو الكلام التام الذي قصد بنسبته الكلامية أن توجد نسبته الخارجية لا أن تطابقها) (صحراوي، 2005: 7-72).

واشار الدكتور طه عبد الرحمن في كتابه (اللسان والميزان أو التكوثر العقلي) الى افعال الكلام في مبحث (العلاقة التخاطبية وتكوثر الكلام) فوجد (أن لفظ الكلام في حد ذاته دال على معنى التواصل)) (عبد الرحمن طه، 1998: 213) فالرموز والاشارات والإيماءات كلها ضرب من الكلام كونها رسالة تؤدي الى المتلقي، إذ ليست فقط الأصوات المنطوقة هي رسالة قد تكون غير مفهومة أو مرتبة، بل يتم عن مقصدية، فضلاً عن مسألة الاقناع والافهام، فالكلام على قدر ا على قدر الحاجة من دون اطناب أو ايجاز.

ومناخ الحجاج وفضاءه يحددان نوعه في لحظة زمان الخطاب ومكانه وآلية الحوار بين العبد وربهُ، أو العبد ونفسه، فهو منتج الخطاب، وهو المتذلل والمتخلي عن الذنوب وهو السائل المغفرة، فهو منتج ومتلق في الآن ذاته، فالافعال الأنجازية تتطلب فعلاً من المتلقي للخطاب، كالاستفهام الذي يتطلب الجواب، ولا يحمل على حقيقته مطلقاً، إذ لا يطلب منه الإجابة، بل الاستفهام خارج لمعنى حجاجي آخر.

واذ نرصد من خلاله مناجاة نكشف عن معانيها المستلزمة أو المجازية)، كونه يخرج فيها الى النفي والتعجب والنهي والتحضيض والترهيب والوعيد والإرشاد من خلال العدول عن المعاني الحقيقية إلى المعاني الحجاجية المستلزمة.

الاستفهام:

وهو شكل من أشكال الطلب، له دليل يدل عليه يتمثل بأدوات الاستفهام ولا سيما الهمزة في خطابات (النفس اللّوّامة)، إذ يعد الاستفهام من أفعال الكلام الانجازية والتي وضعها اوستين ضمن (التوجيهات) ووافقه سورول على ذلك (د. نحلة، أحمد 2002: 79-100)، وأسماها العرب (بالطلبيات) وحمل المخاطب على فعل شيء ما، ويتعلق المحتوى القضوي لها باستجابة السامع، للتوجيه في المستقبل، إذ يدخل الاستفهام، والأمر، والنهي، والوعظ ....الخ في منطقته.

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

والاستفهام المجاري يخالف الحقيقي الذي يوافق لفظة معناه، فالمجازي لا يطلب منه الفهم أو المعرفة، بل اغراض أخرى أهمها مبدأ الأنفعية الحجاجية منه.

ومنه قوله (يا نفس): (أترين لو أن أحداً من جلسائك، أو عبيدك وإمائك واجهك بما تمقتينهُ، أو عاملك بما تكرهينهُ، لقلّمت منه الأظفار، وأحللت به دار البوار... فبأيَّ خسارةٍ تتعرضين لمقت الله وعذابه، وشدّة تكاله وعقابه ؟) (الكفعمي، 1991:38).

فارتباط همزه الاستفهام مع الفعل (ترين) في مخاطبة النفس الانسانية يمكن عدّها للتقرير من خلال السياق الذي ترد فيه، كون النفس لا تحب العتاب من الجلساء أو المواجهة للخطأ، أو المعاملة المكروهة (المقيتة) فلو كان ذلك، جاء الجواب (لقلمت منه الأظفار) أي هي كناية عن قطع كل ما يؤدي هذه النفس وإحللت دار البوار به، بسبب من محاولة التخلص والتملص مما ينهكها أو يعذبها، فالعدول عن التعبير النمطي المباشر للإخبار، مع استعمال المعايير الكنائية في صورة المجاز والتي خلقها السياق الذي ورد فيه الاستفهام ووردت (أي) الاستفهامية للسؤال عن الحال من القوة والجسارة أمام مقت الله وعذابه وشدته وقوته ثم عقابه، وهذا ما يردع المخاطب والنفس الأمّارة بالسوء ويلزمها بالاقلاع والتسليم والانقياد.

وفي قوله (يا نفس):(اتظنين أنك إذا متَّ انفلتِّ، وإذا حُشرتِ رُددتِ ؟! هيهات هيهات – كلّ ما توعدين لآت) (الكفعمي، 1991: 38).

فقد أورد الاستفهام المجازي لغرض التقرير واثبات الحجة عليها من خلال التوكيد بالمصدر (هيهات) توكيداً لفظياً، ثم الاثبات الآخر في الحجة والدليل والبرهان القرآني بإيراد الاقتباس النصي في قوله تعالى ((إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ)) (الانعام: 134) فهو يحملها على التصديق بالحجج والبراهين، مع وجود الرابط الحجاجي (كالشرط الذي سيرد لاحقاً). فالحجج المعطاة هي (الايمان بيوم الحساب، العذاب، الايمان) والنتيجة (هيهات) فكل ما وعده الله يأتي تباعاً في الحياة الدنيا، أو بعد الممات أو الحياة الآخرة ويوم الحساب فيجازي كل نفس بما كسبت.

وقد يخرج الاستفهام عن معنى الطلب الى الاخبار المكتسي والموشح بالتعجب كالاستفهام (بما) الدالة على غير العاقل أو (كيف) الدالة على الحال إلى التعجب، والتعجب لما طرأ على الاستفهام أعاده التى أصله من الخبرية (ابن جني: 272/2).

يقول (يانفس): ((ما هذه الحيرة والسبيل واضح، وما هذه الغفلة والمشير ناصح، إلى كم تجمعين ولا تقنعين، ولوارثك تودعين ؟!)) (الكفعمي، 1991: 39).

فقد نجد في النص مفارقة حسن الظن وخيبة الأمل، إذ أن الطريق واضح في الاستفهام والغفلة مع وجود الناصح، وجمع المال سدى وتركه للوارث، فخيبة الأمل من النفس الأمارة بالسوء والتاركة للعمل الصالح والمقبلة على الدنيا وهي زائلة، وكان حسن الظن من الخالق سبحانه وتعالى بهذه النفس على الضد من أفعالها المخيبة اليائسة الطامسة في ملذاتها، وقد افرد الاستنتاج في قوله (لوارثك تودعين)، وقد أراد بها الشمولية لكل ملذات الحياة، وهو مراد قوله وإقراره بالاستفهام التقريري المكرر مع السؤال عن العدد بمعنى الشمول والكثرة:

((أتفرحين بنعيم زائل، وسرور راحل ؟! غفلت وأغفلتِ وعلمت فأهملت، إلى كمْ مواظبتك على الذنوب، وانت بعين علام الغيوب....، فما هذه الطمأنينة وانتِ مزعجة، وما هذا الولوج وانت مخرجة ؟ !)) (الكفعمي، 1991: 39).

إذ بنيت الحجج على المفارقة التضادية المتأسسة على جملة من المقابلات في التركيب مثل قوله:

نعيم / زائل
سرور / راحل
أتفرحين = تضاد

غفلتِ / أغفلت
علمتِ / أهملت
كم من الذنوب = تضاد

جمعك / تفريق
سعيك / ضيق
الطمأنينة / أنتِ مزعجة
الولوج / أنتِ مخرجة
استفهام التضاد

وهذا ما يستدعي التعجب والاقرار والشمول باصطفاء الاستفهام وسيلة حجاجية للتعبير عنه، ما يحقق الدهشة مع وجود الاجابات الضمنية والصريحة في سياق الكلام ونظمه، وليس التعجب هو الهدف الوحيد من السياق الاستفهامي، بل ما يترشح عنه وإشراك المخاطب في العملية الحجاجية (ما هذه الطمانينة وانت مزعجة، ما هذا الولوج وانت مخرجة)، فكأنه يطالبها بالاقلاع والتسليم والانقياد للطاعات وتنقية الروح من

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

براثن الدنيا وزهوها مخاطباً إياها (بأن لا تفعل) ضمنياً في سياق التأدب، إذ تستدعي العدول عن تلك الافعال الانجازية المباشرة الى غير المباشرة، والنهي والعدول والأمر بالتذلل والخضوع والتوسل بالاستفهام لانجازها طواعية مع وجود تلك الأدلة والبراهين الإلهية.

الأمر:

ويصنف الامر ضمن الأفعال التوجيهية وهو بمنزلة النهي وله صيغة أصلية إلزامية في أربع تلفظات يتلفظ بها المرسل (الأمر وفعله – والمضارع المقرون بلام الأمر، والمصدر الأمري، والنائب عن المصدر) (السكاكي، 2011: 545) وهو الأصل يكون على سبيل الاستعلاء والإلزام، فان كان كذلك أفاد الوجوب، وإنا ترك ذلك أفاد طلب الترك ومثله النهي، فهو أيضاً من الافعال التوجيهية وبمنزلة الأمر وله صيغة واحدة (لا) الجازمة مع المضارع، وهو يحذو حذو الأمر في الاستعلاء والإلزام (السكاكي، 2011: 545)، وقد ورد في الصيغتين قوله: (يا نفس – فلا تخدعنّك دنيا دنيّة، عن مراتب جنات عليّه، فإنّ لكلّ حسنة ثواباً، و لكل سيئة عقاباً(الكفعمي، 1991: 35) وقوله ((إحزمي أمركِ فمالك بضاعة إلأ عمرك – فلا تفنيه في مآربكِ)) (الكفعمي، 1991: 35).

يعمد الكفعمي لصيغة النهي وصيغة الأمر في قوله (لا يخدعنك) بالنهي، وقوله (إحزمي أمركِ، فلا تفنيه) بالأمر والنهي، دليلاً على حرصه على أن يبلغ قصده التوجيهي الى المتلقي، وأن يفهم منه حرصه على أن يتقيد بطاعة الله عز وجل وترك خداع الدنيا كونه اشترط للحسنة ثواباً، وللسيئة عقاباً دليلاً على محاججته للنفس الإنسانية، ثم قوله بالأمر في (إحزمي) والنهي (ولا تفنيه)، كون عمر الانسان هو بضاعته فلا يغنيها في مطالب، ولذات ومآرب تخسره تلك التجارة، وهي علامة سيميائية (رأس المال، والربح) تدل على عدم الاغتدار والميل إلى الدنيا الزائلة.

ويخاطب بالصيغتين ذاتهما قوله: (فاملئي تلك الساعات من الحسنات، وأشحنيها بما شقّ من العبادات، ولا تميلي الى الكسل والاستراحة، فما ملأ الراحة من استوطأ الراحة) (الكفعمي، 1991: 35).

فالفعل الكلامي الموجه للحجاج في النص بفعلي الأمر (أملئي، وأشحني) والنهي في الفعل (لا تميلي) مع وجود المفارقة الدلالية في الجناس الوارد في النص ذاته مع التضاد بين (الكسل ≠ الراحة) تضاد، وبين (الراحة ≠ الراحة) جناس تام، ففي الراحة الأولى بمعنى الكف (راحة الكف والجمع راح)، اما الثانية فيعني الاستراحة والطمانينة، وجمعهُ بين المتضادات في سياق الافعال الانجازية والتوجيهية مسنده كلها إلى الآخر وهو النفس الانسانية وتهذيبها لتأسيس النتيجة في محاسبة الذات وتهذيب النفس مع وجود المفارقة وانتخاب

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

الاسلوب الاقناعي الحجاجي في الاتيان بها للتأثير والاقناع والاستعطاف والتهذيب، كما في (لا تميلي الى الكسل والاستراحة) وتوالي الحجج بتخصيص لفظة (الراحة مرتين والاستراحة) تكراراً ملزماً.

ويقول يانفس: ((أُنظري إلى الدنيا نظر الزاهد المفارق، ولا تنظري إليها نظر العاشق الموامق، وأمسكي من المال بقدر ضرورتك، وقدّمي الفضل ليوم فاقتك، واذكري مع كل لّذة زوالها، ومع كل نعمة انتقالها)) (الكفعمي، 1991: 35).

ويعد الأمر (أنظري) مع التضاد (لا تنظري) وقد جاء بصورة التشبيه البليغ في قوله (انظري نظر الزاهد) بمجي المفعول المطلق من لفظة، إذ يعد التشبيه تقنية حجاجية لها فاعليتها الاقناعية بما يوفره من قوة حجاجية قادرة على اثارة المرسل اليه وشغل تفكيرة في البحث عن العلاقة التي تجمع بين صورة المشبه والمشبه به، فالتشبيه في سياق الافعال الانجازية يضفي عليها الاستدلال والمحاجة في الوصول الى التسليم والانقياد والاقتناع(د. عمران، 2021: 453)، فضلاً عن توارد الأمر (امسكي، قدمي، اذكري) في سياق النصح والتوجيه.

ويعد الاستفهام من انجع الافعال اللغوية الإلزامية للتعبير عن قبول وجهات النظر والرغبات في الحجاج وغيره، وتدعيم موقف المتكلمين لقبول التحدى والدفاع عن المواقف، ومناصرة الدعوى أو معاداتها، ومن ثم استعمال المتكلم للتوجيهيات التي تحث على التحدي للدفاع عن وجهات النظر أو طلب الحجاج.

فلا يقتضي الاستفهام البلاغي الاستخبار، بل يستلزم تأويل القول المراد تحليله انطلاقاً من قيمتة الحجاجية لتعظيم الاختلاف مع المدعى عليه لتلطيف الاختلاف معه إذا كان المخاطب يميل الى الاقرار، إذ يحمل الاستفهام الحجاجي طاقة حجاجية تمكن الاديب من التمتع بالقوة الجدلية والتحمل والتصبر، وهو علامة سيميائية تدل على المغالبة وعدم الخضوع كما في قول الكفعمي، وقد وضع الحجة على النفس باستعمال الالفاظ القرآنية وتسخيرها دليلاً واضحاً في قوله (اتحسبين أن تتركي سدى – ألم تكوني نطفة من منيٍّ يمنى، ثم كنت علقةً فخلق فسوّى، اليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى)(الكفعمي، 1991: 42)، فقد أشار إلى قوله تعالى من سورة القيامة ((أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡۦِيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ)) (القيامة:36–40).

فقد ورد استفهام التقرير وجعل الحجة على الانسان في خلقه داخل الأرحام، وهي من الحقائق العلمية لنشأة الخليقة وتكوين الأجنة، ثم وضع الحجة على إحياء الموتى، فحصل الاستفهام فعلاً توجيهياً في الذات الانسانية للا قرار بنشوء وتكوين هذا العالم الانساني في سياقين الأول في خطاب النفس وعدم تركها سدى

من دون عمل أو فائدة، وقد كانت نطفة ثم علقة حتى خلق بهيئة بشر، والاقرار الثاني: في سياق قوله (باحياء الموتى) وهو القادر على كل شي [اتحسين / ألم تكوني – أليس ذلك بقادر].

فالحقائق العلمية هي دلائل برهانية.

حجاجية الصورة:

مسار اصحاب النظرية الحجاجية على منهجية المطابقة بين الحجاج وبين البلاغة منطلقين من فكرة الخطاب الذي يسعى فيه المتكلم لتدعيم وضعه باتخاذ المواقف باتجاه القضايا المطروحة، وتلك الخيارات تتأسس في الغالب على الخطط الحجاجية المقصود بها المخاطبون من الجمهور (الطلبة، 2008: 105)، كون البلاغة تنتمي في كل الأحوال الى بنية الحجاج، وتوظف ألياتها في الخطاب، فتمنحه القوة التأثيرية والاقناعية.

فقد وردت كثير من الأشعار التي تتحدث عن القيم الخلقية وتهذيب النفس الانسانية، واقناع المتلقي بها في ضوء تحليلنا ورصدنا لأهم الآليات البلاغية والتقنيات الحجاجية التي وظفها الكاتب والتي من شأنها أن تؤدي بالأذهان الى التسليم والانقياد أو تزيد على ذلك بالاعتقاد.

1- التشبيه:

وقد اهتم البلاغيون العرب القدامى والمحدثين بالتشبية. وأولوه عنايتهم كونه عنصراً يتلاحم مع عناصر الجملة في تكوين الصورة الكلية والتي تنقل الانفعالات والعواطف والمشاعر الانسانية، إذ تكمن روعته في أنه ((يستمد قوته من الخيال، فكما أن الرسم والتصوير يعتمد على الاصباغ والاحجار التي تؤلف وتصقل لترمز إلى طبيعة جميلة...، نجد التشبيه يشاركهما في الافصاح على الفكرة والتعبير عن العاطفة بما فيه من عنصر الخيال الذي يقابل تلك الاصباغ والاحجار))(لاشين، 1434: 106).

ولأنه يكسب المعنى وضوحاً وتأكيداً كان له الدور الأنجع في عملية الاقناع بتقريب المعاني والادراك العقلي لفن التشبية في النص الابداعي، كونه جامعاً بين صورتين ليس لتحقيق الجانب التزويقي أو الجمالي فحسب، بل ليؤكد المنشيء للنص حجته الدامغة ويوضحها ويبينها الي سياق تصويري مؤثر ومقنع، من خلال افتاع المخاطبين بالأدلة والبراهين الحجاجية الإلهية بالقيم الخلقية ومحاسبة النفس ولومها وعتابها إن قصرّت في واجباتها في حق نفسها و الآخرين والذات الالهية التي توجب الطاعة والتمسك بالفضيلة.

فقد ورد في خطاب النفس (يانفسُ): (وأصبحتِ تتكالبين على طلب الدنيا تكالب المدهوش المستهتر، وأعرضت عن الآخرة إعراض المغرور المستحقر) (الكفعمي، 1991: 41). فالتشبيه يلعب دورهُ الحجاجي

في النص الذي تكون من تشبيهين بليغين بصيغة المصدر (تتكالبين تكالب المدهوش) (وأعرضت إعراض المغرور) إذ يشبه هذه النفس بتكالبها على الحياة وزينتها كالمدهوشة وتعرض عن الصلاح في حالها وكأنها مغرورة متكبرة مستهترة، إذ يستعمل المحاجج التشبيه بوصفه تقنية من تقنيات الحجاج للتأثير في المخاطب وإقناعه بفكرته، وهو يقدم نتائج تستلزم الاقناع بالمنطق الحجاجي ((لا كرم كالتقوى، ولا عدو كالهوى، ولا عزّ كالطاعة، ولا كنز كالقناعة، ولا هداية كالذكر، ولا رشد كالفكر، ولا زينة كالآداب، ولا ريح كالثواب....) (الكفعمي، 1991: 79).

ونتيجة حجاجيه في أن الكرم هو التقوى والقناعة كنز لا يفنى وعدو الانسان هواه، فالراشد هو صاحب التفكر بالدنيا وزينتها الأداب والأخلاق، وتقديم العون للملهوف والتصدق والثواب فهي الربح الأكبر فيها وهذه القضية الحجاجية جعلت النص يؤثر في المخاطبين، وتقنعهم عن طريق التشبيه بقيمة الكرم، والمروءة، والجود والثواب، والاغاثة والرشد فالتشبية عامل من عوامل الحجاج المتنامية، إذ أن المشبه به يعد أكثر قوة واقناع من المشبه كون العملية التشبيهية قائمة في النص على المقارنة بين الأعمال الصالحة والطالحة، فضلاً عن المقاربة بين الأعمال الصالحة نفسها، (العز طاعة) (الكنز القناعة) (الهداية هي الذكر)، (الرشد في التفكر) والأداة هنا ليست للتفريق بين المشبه والمشبه به، وإنما جاءت للمماثلة بينهما والتقريب، من خلال استدرار الحب والإلفة والنصيحة التي يلجأ الى التذكير بها وجعلها حجة على المتلقين للخطاب، فالتشبيه الحجاجي ((يجمع بين بلاغتي الاقناع والتخييل)) (المعنّا، 2023: 2188).

وقوله ((فما الدنيا إلاّ دارُ غرور و جسر مرور.. وأعلمي: أن الدنيا بئر هاروت. أو نهر طالوت، وأن الله مبتلي الخلق به فمن تبرّض ولم يصب ريّاً، شرب مريّاً، ومن ارتوى – أشرف على التوى، إلاّ من نضح نفاضةً على كبده، أو اغترف غرفةً بيدة)) (الكفعمي، 1991: 94)

فقد شبه الدنيا بالدار والجسر الذي يمر عليه الناس فينتقلوا منها إلى دار الآخرة في تشبيهين بليغين، ووضع الحجة على متلقى الخطاب في إيراده أكثر من اسلوب وآلية في سياق الجمل في النص، إذ يشبه الدنيا ببئر هاروت التي يتطير منها العامة، كونها بحسب الاساطير مسكونة بالأرواح الشريرة ومليئة بالثعابين والضفادع، أما نهر طالوت فهو حجة اخرى، فقد أخبرهم طالوت أن الله مبتليهم، أي جيشه، منفصلاً عن بيت المقدس، واختبرهم الله بنهر في قوله تعالى((فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي)) (البقرة: 249) فلا يصاحبني، إلاّ من يغترف غرفة بيده أي لا تُقبل على تلك الملذات إلاّ بما يسدّ رمقه وقد شبه الدنيا بذلك ووضع الحجة في قصة نهر طالوت وجنده.

2- الأستعارة الحجاجية:

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

ويعرف البلاغي الحجاجي أبوبكر العزاوي الاستعارة الحجاجية بأنها ((تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يشغلها المتكلم بقصد توجيه خطابه، بقصد تحقيق أهدافه الحجاجية، فالاستعارة الحجاجية هي النوع الأكثر انتشاراً لارتباطها بمقاصد المتكلمين وبسياقاتهم التواصلية والتخاطبية))(العزاوي، 2006: 108)، إذ تسهم آليات الصورة البلاغية في الحجاج من حيث أنها تساهم في الاقناع والتأثير فتعبر عن الحجج بطريقة مركزة كونها من مسالك الاستدلال وهو ليس عملية استنباطية محضة بل عملية خطابية وتواصلية، إذ لا يخرج الاستدلال عن دائرة الحجاج والاقناع، لأنه من جهة أولى يؤدي وظيفة استدلالية ويتوجه بالأساس الى عقل المخاطب، ولأنه من جهة ثانية يؤدي وظيفة نفسية ويستهدف التأثير في المخاطب، فللمجاز أثر كبير في الحجاج والاقناع (المودن، 2010: 161).

فالمتكلم يبلغ مقاصده عن طريقي الحقيقة والمجاز، والقيمة الأكبر لعلاقات المماثلة والتفاعل لعلاقات ما كان لها أن تكون مترابطة، وبذلك تعلو قيمتهما، الدلالية والحجاجية، وليس في كونها حلية أو زينة زخرفية في الأقوال الخطابية، اذا لا تكمن اهميتها في كونها أسلوباً زخرفياً، وانما في كونها كونها حجاجية تزيد المعنى وضوحاً فتقنع المتلقى بها غاية الاقناع والاستمالة فالاستعارة في خطابات المنفس اللّوّامة حجاجية تنقل المتلقي من المجرد الى المحسوس وتكسب الحجج قوة في تحقيق الاقناع، فترى الجماد ناطقاً.

يقول الكفعمي:

((الدنيا لا تصفو لشارب، ولا تفي لصاحب – فهي مليئةٌ بالمصائب، طارقة بالفجائع والنوائب، والعاقل من هجر شهوته، وأسخط دنياه، وأرضى آخرته، والعارف من عرف نفسه فأعتقها ونزّهها عن كل ما يبعدها ويوبقها)) (الكفعمي، 1991: 52).

ففي صدر القول (الدنيا لا تصفو لشارب) كناية عن راحة البال وانعدامها، وانعدام الوفاء والصفو فيها، ثم يصفها في صورة من التشبيه البليغ مع الاستعارة في قوله (مليّة بالمصائب طارقة بالفجائع والنوائب) إذ يجسدها في هيئة بشرية، ويجسمها وهي تطرق أبواب الناس بالمصائب والفقدان والفجائع فلا صفو فيها – إذ يحاجج عن طريق صورة الاستعارة العقلاء بأن يتركونها و يهجرون شهواتهم الانسانية – أما قوله (أسخط دنياه وأرضى آخرته) فهما من المجاز كون الاسخاط أو الارضاء للناس وهي غاية لا تنال، أما إرضاء الله عز وجل والآخرة فهي المنال الاعظم، كون الدنيا لا تسخط وانما الأنسان هو الفاعل الحقيقي في الاسخاط وهو الفاعل الحقيقي في الارضاء وليس الدنيا فالأحق بالارضاء هو الله عز وجل.

وقوله (اعتقها ونزّهها) مجازاً كلاهما واسقطها على النفس التي عاملها كالعبيد في تمسكها بالشهوات، واعتقها (واعتق الرقاب) وهي للنفس مجازا وكذلك (التنزيه)، ويعد الاقناع أساس الحجاج كونه آلية رئيسة

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

لتكوين الآراء والمواقف، يصدر عن وسائل منطقية ولغوية خاصة(ميروش، 1439: 353)، فكل نص حجاجي هو نص إقناعي بايصال الافكار والقيم والمثل إما إيحاءً، أو تلميحاً، أو تصريحاً، في ظل شروط موضوعية وذاتية مساعدة، يهدف من خلالها المتكلم أو الأديب، أن يقنع الجمهور ويؤثر في سلوكهم ومعتقداتهم وعواطفهم الإنسانية، أو يغيرها، ويغير افكارهم ونظراتهم حول الاشياء في دائرة وجودهم واعادة تقييم لمحيطهم الاجتماعي والفكري والعقائدي (عمارية، 2015: 121)

والاستعارة تشخص المفاهيم الذهنية وتجعلها مرئية بصريا أو حسية مسموعة يسهل استيعابها والاقتناع بها، ومن ثم فهي حجاجية في توجيهها وبيان مقاصدها قريبة من واقع المتلقي الذي يذعن لها وينقاد ويؤمن بها.

3. الكناية:

ويعد دور الكناية حجاجيًا في كونها القول البليغ والحجة الأقوى في التدليل على إظهار لاستمالة والحجة والتسليم أو الانقياد من خلال السياق المقرون بالحجة الدامغة والدعوى المضادة والذي يدفع المتلقي لإعمال الفكر وربط المعنى الأول الحقيقي بالمعنى الخفي المجازي في جلاء أبعادها الدلالية، مما يخلق النفس الأنسانية اقتناعاً بالنتائج التي يتوصل اليها، ويكون وقعها في النفس أشد وأكمل وأتم في صورة تقديمها ويحصل بذلك الإقناع، بدعوى السعي من المرسل اليه المتلقي الى التعاون مع المرسل أو الأديب في انتاج الخطاب عن طريق الكشف في التعبير الكنائي الذي تجاوز التعبير اللغوي وصولاً إلى المظاهر الحضارية المعاشة – لاقرار ما ليس يتقرر بمجرد الإثبات المباشر والوقوف على الاستدلالات المستلزمة في اثبات المعاني لتحقيق القوة على مستوى النص والتركيب (كريم، 2023: 287).

والحجاج يعتمد على الأسس المنطقية في تقديم الأدلة والبراهين، أما البلاغة. فتعتمد الخطاب التداولي الاقناعي وهو أحد أوجه البلاغة، إذ أن الوجه الثاني لها هو عملية التخييل – ((وبلاغة الخطاب الاقناعي تقابل بلاغة الخطاب التخييلي، وتتداخل معها))(العمري، 2002: 6) وكلاهما يشتركان في المعاني المؤثرة ويفترقان في حمل البلاغة النفوس على التخييل والتأثر بينما الحجاج يحمل النفوس على الاقتناع عن طريق الخطاب النثري، وتبرز الكناية بوصفها أثراً فنياً جمالياً في سياق النص الادبي للنفس اللوامة عند الشيخ الكفعمي بتوظيف ألفاظ التلميح، أو عبارات الخرق الاسلوبي للنظام المعجمي للألفاظ وقوانين اللغة لتأدية غرض التواصل مع المتلقي مع وجود التفاعلات السياقية الخارجية التاريخية والنفسية والاجتماعية، السائدة وثقافة العصر كونها تعتمد خطاب الستر والخفاء في اسلوبها غير المباشر.

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

وعرفت قديماً الكناية ((أن يريد الشاعر دلالة معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى، بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له، فإذا دلّ على التابع أبان عن المتبوع))(قدامة بن جعفر 1963: 187) فهي آلية جمالية تأثيرية بما تحمله من أدلة برهانية، واستدلالات تقتضي الملازمة بين المعنى الأول والمعنى الثاني للوصول إلى معنى المعنى، بثرائها الدلالي واختزالها اللفظي.

يقول الشيخ الكفعمي (ومن أطلق طرفَهُ، جلَبَ حتفهُ، و من كثر قنوعة قلَّ خضوعهُ، ومن بخل بماله على نفسه، جاد به على بعلِ عرسهِ) (الكفعمي، 1991: 77).

ففي قوله عن النفس اللّوّامة ينصحها ويرشدها بالكناية في قوله (أطلق طرفهُ) كناية عن النظر لما هو أعلى وأفضل وأكبر وأطمع، فلا تقنع عينه بالذي بين يديه، فقد جلب بذلك (حتفه) وموته، ويفاضل بذلك عن الآخر المتضاد مع البخيل بالقنوع (من كثر قنوعه قل خضوعة) فلا يخضع أو يريق ماء وجهه في سبيل الحصول على ملذات الدنيا، وهذا دليل وبرهان واضح، فان بخل على نفسه أجاد على زوجه وعرسه.

ومن ثم ما يمكن التصريح به أو التلميح له في خطاب النفس والكدّ عليها للآخرة وليس للحياة الدنيا وهو المعنى التأويلي الذي يضمن للمخاطبين عملية تواصل ناجعة بما تحمله العبارات الكنائية من قوة تخاطبية اقناعية، كون الكناية الحجاجية تهدف الى الاستماله والانصياع والاقتناع بمعانيها – عن طريق إحداث التغير في المواقف العاطفية والفكرية للمتلقين، بسبب حيوية المعاني الاجتماعية التي تطرحها و امتلاكها الخواص النفسية الانفعالية، ما يدفع المتلقي إلى المشاركة في الاحساس والانفعال والعملية الادبية والتواصلية والانسجامية بين المتكلم والمتلقي للخطاب.

و كقول الكفعمي ايضاً في خطاب النفس اللوامة ((من شاور ذوي النهي والألباب فاز بالنجح والصواب، ومن كتم مكنون رأيه، عجز طبيبه عن شفائه، .....ومن جمع الحرص والبخل فقد استمسك بعمودي اللؤم)) (الكفعمي، 1991: 76).

فقي قوله (ذوي النهى والالباب) كناية عن اصحاب العقول الراجحة والرأي السديد والحجة الثابتة، وجواب الشرط مقترن بفعله وهو (النجاح) النتيجة الحتمية، أما من كتم رأيه فقد (عجز الطيب عن شفائه) كناية عن قوات الفرصة والركون الى النفس الخطائه، فباء بالسخط أو المعصية وهو لا يدري كونه معانداً ويركن إلى رأية.

اما الكناية الاخرى ففي قوله (استمسك بعمودي اللؤم) وهي نتيجة ودليل حتمي وقطعي لمن يحرص على المال ويبخل به على الاهل والعيال والاصحاب، وذلك هو الخسران كونه يقود الى نتيجه اللؤم والحقد وعدم العطاء أو البذل، وهي صفات البخلاء ومثلها بالعمودين عمود للحرص وعمود للبخل اللذين يجتمعان

معاً في صفة اللئيم، والتي عبر عنها النص بالتمسك بعمودي اللؤم، وهذا ما يحدث انسجاماً بين المتكلم والمتلقي الذي يذعن للمعنى الكنائي بما يعرضه من طروحات فكرية تستسلم لها العقول بالتصديق والإلزام عن طريق المعنى الناجع في بيئته الثقافية.

والكناية على الرغم من توجيهها الخطاب المباشر للمتلقي، إلاّ أنها في حقيقتها توجيه للجمهور الكوني في كل المجتمعات الانسانية، وهي تطهير النفس الانسانية من براثن البخل والحرص، لأنها ليست من صفات المؤمنين على اختلاف دياناتهم ومعتقداتهم وبيئتهم الاجتماعية والنفسية.

ومنه قوله: ((القطيعة شيمة الشرسِ، والغَمر الذي لم يجرّب الأمور، وصلة الرحم تزيد في العمر، وأصدق الصداقة طلاقة البِشر الراشح، وأفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح)) (الكفعمي، 1991: 95).

ترد الكناية في قوله (القطيعة شيمة الشرس) وهي صفته للرجل السيئ الخلق، العسر الشديد الخلاف فيعادي الناس ويبتعدون عنه، وجاء بدليل الغمر الجاهل بهذه الأمور، كون الدليل والحجة أن صلة الرحم تزيد في العمر، فقد أوصى الله تعالى بصلة الأرحام ورسولهُ كذلك فقاطع الرحم عدو في الخفاء لا يظهر عداوته بل يضمرها في كشحه (ما بين الخاصرة والضلوع)، وإن دلّ المعنى الكنائي فيدل على التواصل بين الارحام، والاخلاق النبيلة، فالخطاب الكنائي لم يقف على الالفاظ اللغوية، بل يتعداها إلى السلوك عن طريق الانتقال من المعنى الحقيقي الصريح إلى المعنى دلالة الملزوم، وهو السلوك الاجتماعي الذي يغير من تفكير الفرد الواحد بدلالات اقناعية إلى تفكير المجموع بتوجيه الخطاب الى النفس الإنسانية، فوظيفتها الاجتماعية أكثر تأثيراً في المتلقي، وأبعد نظراً في تجاوزها اللغة المعجمية، مع طرح الاستدلال والبرهان بالدليل الاقناعي، في اشارته الى صلة الارحام فهو مصداق قوله صلى الله عليه وآله ((لا يدخل الجنة قاطع رحم) ((ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن خمر ومدمن سحر و قاطع رحم) (مؤسسة الامام علي:6) فقطيعة الرحم موجبة للحرمان من البركات الالهية، كنزول الملائكة وقبول الاعمال. فكانت الكناية بوسائلها وآلياتها من أهم الطرائق التي سلكها الكفعمي في النفس اللوامة، في حجاجه مع خصومه ومعانديه من الأنفس الضّالّة والمعاندة وعلى قلوبها غشاوة فاستعملها لتوضيح الفكرة وتقوية الدليل لا يقاض الوجدان الانساني وتهيئة النفس إلى الاقتناع والاذعان والتسليم.

4. الروابط الحجاجية وفلسفة الحجاج:

وتعد الروابط والأدوات الحجاجية علامات دلالية في مضمون الخطاب، لتجاوزها الاستعمال اللغوي في الخطاب، وفرض قيود دلالية على التأويل التداولي في الخطابات الحجاجية، إذ يقترح ديكرو صاحب هذه النظرية برؤية اللغة كلها حجاج، أما مفهومه حول الروابط في البحث عن القيمة الحجاجية للأدوات والرابط

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

الذي يلعب دوراً في الخطاب، فميز بين الروابط والعوامل، كون الرابط الذي يربط بين قولين أو حجتين داخل سياق الخطاب الحجاجي مثل الروابط (بل، لكن، حتى، لاسيما، إذن، لأن، بما....) أما العامل الحجاجي فهو غير مرتبط بالمتغير الحجاجي اي لا يربط بين الحجة والنتيجة، وإنما يحضر الامكانية الحجاجية التي تكون لقول ما، ومثل هذه العوامل (القصر وأدواته، كاد، الاّ، ربما)(العزاوي، 2006:30).

ويعد التركيب الشرطي والذي يمكن إدراجه ضمن سلسلة العوامل والروابط الحجاجية مع إمكانية جعلها ضمن السلم الحجاجي، وذلك لتمثيل جملة الشرط سبباً وعلة لجواب الشرط، أما جملة الجواب فهي النتيجة أو الحجة(العتيبي، 1/2015: 848)، وتعد الأداة الشرطية الرابط بين الجملتين (جملة الشرط المقدمة) (وجملة الجواب النتيجة) ربطاً منطقياً لإبراز العلة والحجة والدليل، وهو كثير وروده في حوار النفس اللوامة لعلة وجود مقدمات، ووضع نتائج حجاجية لها كقول الكفعمي:

((إن كُنتِ من معصية الله ممنّ يعلم اطّلاعهُ، فلقد اجترأت على أمر عظيم الشناعهُ – لجعلك إياه أهون الناظرين... وإن كنتِ تظنين أنّه لا يراك – فلقد كفرت بمولاك)) (الكفعمي، 1991: 38).

إذ يرد الحجاج في التراكيب الشرطية الظاهرة التي تتضح من خلال العلاقة المنطقية بين الطرفين إذ يلزم ثبوت المتقدم (إن كنت في معصية) (إن كنت تظنين) ثمَّ الحجة والدليل مع الجواب (فلقد اجترأت) (فلقد كفرت).

وقولهُ من الشعر: (الكفعمي، 1991: 38)

فمن حسُنتْ أفعالهُ فهو فائزٌ ومن قُبحَتْ أفعالهُ فهو زاهقُ

فاداة الشرط (من) ربطت بين جزئي الجملة الشرطية المقدمة في فعل الشرط (حسنت) والنتيجة جواب الشرط في (فهو فائز) وكذلك في عجز البيت (قبحت) والنتيجة في جواب الشرط في (فهو زاهق)، إذ يبدو الزمن متواصلاً بين هذين الجزأين – فيشير اسلوب الشرط الى القيام بالعمل في الجزء الأول من الكلام (حسنت أو على التضاد منها قبحت) فالنتيجة عن الفعل الأول هو (الفوز وعلى التضاد منه في الجملة الثانية هو الزهق) والعلامة السيميائية والجمالية في الحجاج هو اظهار المقامين الأول والثاني.

وفي نص آخر هيمن عليه الشرط والجزاء يقول الكفعمي: ((منْ ترقّب الخير تسارع إلى الخيرات، ومن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار اجتنب المحرمات، ومن أحبّ الدار الباقية لهى عن اللذات، ومنْ عرف قدر نفسه لم يهنها بالفانيات)) (الكفعمي، 1991: 76).

وترد الأداة (من) الشرطية بشكل كبير في كتاب (النفس اللوامة)، من ترقب الخير جملة الشرط، وقد حذفت الأداة الرابطة بين الشرط والجواب، فقد جاء الجواب (تسارع الى الخيرات) وكذلك هي الحال في بقية

النص، فقد قدم المتبارك به من القول والذي يبعث الطمانينة في النفس، وما تتحبب إليه في جملة الشرط وجاء الامتناع عن المعاصي في جملة الجواب، فالخطابين يختلفان من حيث الحجة على الرغم من جمعهما في موضوعة واحدة، وهي صلاح النفس الانسانية، والأداة (من) هي من اسماء الشرط (من، مهما، ما، حيثما، أيان، أينما، أنّى) وهي مبهمة كونها لا تدل على زمن معين فضلاً عن كونها (من جازمة) في محل رفع مبتدأ.

وقد يتعاضد الشرط مع الجزم في قول الكفعمي ((من لمْ يجهلْ قليلاً لم يسمعْ جميلاً، ومن لمْ يداوِ شهوته بالترك لها لم يزل عليلاً...) ووردت كثير من النصوص في كتاب النفس اللوامة(الكفعمي، 1991: 76-77).

أما القصر البلاغي الحجاجي فقد ورد في نصوص الشيخ الكفعمي وكان من الروابط الحجاجية، إذ يدخل اسلوب القصر منطقة ادوات السلم الحجاجي بسبب من أن هذه الادوات تأتي اثباتاً لما يذكر بعدها، ونفياً لما سواها، فيلجأ المتكلم الى استعمال أدوات القصر في خطابه للاحتجاج على خصومه واشهر أدوات القصر التي وردت في (النفس اللّوّامة) هي (إلاّ، إنّما) يقول الكفعمي ((منْ لا يُطعم الدّابّة إلاّ في الحضيض لا يقدر على قطع العقبة ؟) (الكفعمي، 1991: 44).

وقول الكفعمي أيضاً وباستعمال الأداة (إنّما) التي يشترط في وجودها رابطاً بين جملة الشرط وجوابه، أن يأتي الجواب متاخراً وجوباً:

((إنّما الكرمُ التنزّهُ عن المساوي، والورعُ التطهّرُ عن المعاصي)) (الكفعمي، 1991: 64).

إذ تأتي النتيجة في جواب الشرط المتأخر وجوباً (التنزهُ عن المعاصي)، فتبدو اكثر قوة، إذ قصر الأديب صفة الكرم في الانسان النزيه عن المعاصي والكبائر، وهي حجة قوية، كذلك نجد الصفة في المقصور والمقصور عليه هي من المحاسن التي يحتج بها القائل وكلاهما صفات معنوية

ويقول ((كذب من ادّعى اليقين بالباني، وهو موصل للفاني، كلا لن يفوز بالجنّة إلاّ الساعي لها، ولن ينجو من النار إلاّ التارك عملها، ولن يلقى جزاء الشرّ إلاّ عاملهُ، ولن يجزى جزاء الخير إلاّ فاعلهُ، ولن يجوز الصراط إلاّ من جاهد نفسه، ولن يحرز العلم إلاّ من يطيل درسهُ)) (الكفعمي، 1991: 74).

ومن ثم تدخل هذه الأدوات في السلم الحجاجي كونها تأتي إثباتاً لما يذكر بعدها، ونفياً لما سواها(الشهري، 2004: 520)، فيلجأ المتكلم إلى استعمالها في خطابة للاحتجاج عن ما يريده في المقارنة بين مستويات الخطاب قبل الرابط وبعده، ودورها الحجاجي في تحول المقاصد والدلالات والمعاني، مع قابلية الانساق الحجاجية على التجدد والاستمرار باختلاف الزمن والتطور الحضاري مما يسمح بتطبيقه في

الحياة العامة، واعادة التجارب السابقة وتشييد علاقة وثائقيه بين الماضي والحاضر، من خلال قراءة النص التراثي والانفتاح على الحاضر وخطاباته الجديدة.

الخاتمة

1. ساهمت نظرية الافعال الكلامية في الحجاج بالتعبير عن وجهة نظر، الكاتب الشيخ الكفعمي في خطابه للنفس الانسانية وفي تحول مقاصد ذلك الخطاب والذي تتحدد بها معانيه ودلالاته في المستويات الجمالية والفلسفية.
2. قابلية الصورة الحجاجية وأنساقها المتنوعة بآليات الحجاج من علاقات استعارية وكنائية على التجدد والاستمرار، والتنوع الحركي داخل النص ما يبحث على التفاعل وكسر النمطية في انتاج معانٍ جديدة.
3. تقاطع كثير من النصوص التراثية النص الحداثوي في النفس اللوامة في الصور الحجاجية واتخاذها أدلة وبراهين حجاجية تعضد الصورة مما يحملها بطاقات دلالية ثرية وعالية في انتاجها المعنوي القائم على الاستلهام والإلزام والتسليم.
4. وجدنا بعض الالفاظ لا تنتظم بمفرادتها الحرفية ما لم تنطوي تحت السياق الكلي للنص، فتأتي في جمل منتظمة تخرق قانون اللغة العام لتأسيس لغة ودلالة جديدة تتفتح على التأويل الفلسفي.
5. الكشف عن القواعد الداخلية لخطاب الكفعمي في كتابة النفس اللّوّامة والتحول في معاني كثير من الخطابات عن مقصدية أو مباشرة أو مباغته والمقارنة بين مستويات الخطاب الانفعالي والحجاجي والاقناعي من خلال تحليل النص الأدبي والذي حقق فرادته الأدبية من طريق اسلوبية الكاتب.
6. تمكن الشيخ الكفعمي على ايجاد وابتكار شفرات خاصة به من خلال النصح أو الارشاد أو التنكيل أو السخرية أو التبكيت في معارضة النفس اللّوّامة بما يسهم في تحول المعنى من النص الأصل إلى النص المحاجج من دون فقدان خصائص النص الأصل.

النتائج المستخلصة من دراسة الآليات الحجاجية في خطاب النفس اللوامة

1. يعمل الحجاج البلاغي على اكتشاف القواعد الداخلية للخطاب النثري في أحاديث النفس اللوامة.
2. الكشف عن المقاصد والتحوّلات ودور الحجاج في تحول تلك المقاصد والدلالات والمعاني في الخطاب

3. ساهمت الأفعال اللغوية في التعبير عن وجهات النظر في خطاب الكفعمي ومن تحول مقاصدة التي تتحدد بها معانيه ودلالاته على جميع المستويات اللسانية والبلاغية وكذلك الفلسفة التي يطرحها

4. قدرة الخطاب الحجاجي في النفس اللوامة على النفاذ الى عوالم وخطابات تراثية أخرى كالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف واعادة خلق التجربة وتشييد علاقات جديدة مع تلك الخطابات واتخاذها الأدلة وبراهين من خلال آليات الحجاج وتوظيفها في النصوص وتعاضد كثير منها في خلق جمالية وأسلوبية النص المحاجج.

5. وهذه الخطوة هي محاولة تأسيس علم خاص بدراسة الخطابات المتنوعة بديلاً عن الخطاب الشعري أو الأدبي المحض لتنوع ثقافة الحجاج، فضلاً عن الوصف للخصائص الإقناعية التي تسمح باثارة تأييد الاشخاص للفروض التي تقدم لهم وتعزز تأييدهم ومن ثم تسليمهم والانقياد والطاعة والولاء، ومن ثم التفاعل مع الآخر والتواصل والتسليم بالنتائج.

المصادر

[1] القرآن الكريم

[2] ابن جني، 1999، ابو الفتح عثمان الموصلي، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، دار الحديث، ٢٠٠٨، والهيأة المصرية العامة، ط٤.

[3] بيرلمان شاييم، 2019، فلسفة الحجاج البلاغي، ترجمة: أنور طاهر، ود. أبو بكر العزاوي – عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة ١.

[4] حمداوي جميل، 2014، من الحجاج الى البلاغة الجديدة، افريقيا الشرق المغرب، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، (المركز الثقافي العربي).

[5] السكاكي، 2011، أبو يعقوب بن محمد، مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.

[6] الشهري,2004، عبد الهادي بن ظافر استراتيجيات الخطاب، بيروت – دار الكتاب الجديد المتحدة، ط ١، بنغازي ليبيا.

[7] صحراوي، 2005، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لأفعال الكلام، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى.

[8] صولة، 2007، عبد الله، الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الاسلامية، دار الفارابي، لبنان،

ط٢.

[9] الطلبة، 2008، د محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد، المتحدة، ط١، بيروت.

[10] عبد الرحمن طه، 1998، اللسان والميزان، التكوثر العقلي – المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، بيروت، و الدار البيضاء، المغرب.

[11] العتيبي، أ. شيخة راضي سميليل، الحجاج في المعارضات الشعرية، مجلة كلية الدراسات الإسلامية، الاسكندرية، المجلد ١، العدد ٣٣.

[12] العزاوي وأبو بكر، 2006، اللغة والحجاج، المغرب، ط١، الدار البيضاء.

[13] العسكري، أبو هلال، 1952، كتاب الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل ابراهيم، ط١، ١٩٥٢، دار احياء الكتاب، عيسى البابي الحلبي وشركاءه.

[14] عمارية حاكم، 2007، الخطاب الاقناعي في ضوء التواصل اللغوي، دراسة لسانية تداولية، دار العصماء، دار رواد المجد.

[15] عمران، د. علي احمد، 2021، حجاجية الصورة البيانية في القرآن الكريم سورة يوسف انموذجاً، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الانسانية، المجلد ٦، العدد٤، ديسمبر، الجزائر، جامعة العربي، تبسة.

[16] العمري، د. محمود، 2002، بلاغة الخطاب الاقناعي، افريقيا الشرق، المغرب، ط١.

[17] عميروش، أ. حورية، ١٤٣٩هـ، حجاجية الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف، مجلة دراسات لسانية، المجلد٢، العدد ٨ – الجزائر.

[18] قدامة بن جعفر، ١٩٦٣، أبو الفرج (ت ٣٣٧هـ)، نقد الشعر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، مصر.

[19] كريم، د.حيدر رضا، ٢٠٢٣، حجاجية الكناية في شعر ابن الجياب الاندلسي، مجلة ديالى للبحوث الانسانية، العدد ٩٥.

[20] الكفعمي، ابراهيم بن علي، ١٩٩١، محاسبة النفس اللّوّامة، تحقيق الشيخ فارس الحسّون، مؤسسة الفكر الاسلامي للثقافة بيروت، ط١.

[21] لاشين، د. عبد الفتاح، ١٤٢٤، البيان في ضوء أساليب القرآن، ط١، دار الفكر العربي.

[22] المعنّا، د. سحر مصطفى لطفي، القحطاني، د.زينة حسين، ٢٠٢٢، حجاجية الصورة البيانية وأثرها

الاقناعي بالقيم الخلقية عند الشعراء المهجر الجنوبي، المجلة العلمية، جامعة الأزهر كلية اللغة العربية، أسيوط، العدد ٤١، اكتوبر، الجزء ٣.

[23] المودن، د. حسن، ٢٠١٤، بلاغة الخطاب الاقناعي نحو تصور نسقي البلاغة الاقناع، دار كنوز المعرفة، الأردن.

[24] مؤسسة الامام علي (ع): *arabic <https:llnajaf.org*

[25] نحلة، أحمد فاروق، ٢٠٠٠، افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجديدة، مصر، الاسكندرية.